اخيه بيان لما سالوا عنه من يتق من خشية الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم
وضع المحسنين موضع المضمر لاشتماله على المتقين والصابرين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اي فضلك بالتقوى
والصبر وسيرة المحسنين وان كنا وحالنا انا لخاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك
واذلنا بالتمكن بين يديك قال لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب وهو الشحم
الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك
غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه فان قلت بم تعلق
اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدا فقال يغفر الله لكم
فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم فقال اغفر الله لكم ويغفر الله لكم على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت
يهديكم الله ويصلح بالكم او بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم
قال له العباس اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك
ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا
فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي
قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة
لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي يات بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد
بصيرا او يات الي وهو بصير ويصدقه قوله واتوني باهلكم اي ياتني ابي وياتني اجمعاء وقيل يهوذا هو الحامل
قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان
وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل
منه وجاوز حيطانه وقرا ابن عباس فلما انفصل العير قال ابوهم لمن حضره من ولد ولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف
اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم
يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفندوني
لصدقتموني قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف واكثار ذكره
ورجائك لقاءه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب فارتد
رجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارجعه قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا
من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدا لم يقع عليه القول ولك ان توقعه عليه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم
من الله ما لا تعلمون وروي انه سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال
على دين الاسلام قال الان تمت النعمة سوف استغفر لكم ربي قال اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة
ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي
انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه
وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين
وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا
فاستقبل

فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم
وظنوا انها الهلكة نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد
اختلف في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج
يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكا على يهوذا فنظر الى
الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان
وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن
خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل
وامراة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى
وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه ابويه ضمهما اليه واحد الابوين لان الداية تدعى اما لقيامها مقام
الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق فان قلت ما معنى دخولهم
عليه قبل دخولهم مصر قلت كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت فدخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم
ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما
على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج لهم من قباب الملوك
التي تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فاواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال
بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت بم تعلقت المشية قلت بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم
بالامن في دخولهم فكانه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم ان شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء
الله فلا تعلق المشية بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين
ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع
التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتاخير وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام
يعقوب وما ادري ما اقول فيه وفي نظائره فان قلت كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة
عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عادة الناس من افعال شهرت
في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا ياباه وقيل معناه وخروا لاجل
يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا فيه نبوة يقال احسن الي وبي وكذلك اساء اليه وبه قال اسيئي بنا او احسني لا ملومة
من البدو من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع نزغ افسد بيننا
واغرى واصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف
التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله
خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح ونحو ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال
يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تساله قال انت ابسط
اليه مني فسله فلما ساله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان
يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه
ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك
الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل
مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا من الراي ان يعملوا له صندوقا من مرمر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)